جهود المحدثين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها

الدكتور/ يحي بن عبدالله الأسدي


2003
١٤٢٤
جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

جهود المحدثين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها

مقدمة :

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل في كتاب مبين .

وصلى الله على سيد الأولين والآخرين خاتم رسله محمد الأمين وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين .

وبعد :

فقد كان للمحدثين جهود عظيمة في حفظ السنة وتدوينها وتعليمها ونشرها ، والمحافظة عليها من التحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، فقد نقلوا السنة وفق ضوابط علمية صارمة وقواعد متينة شهد بفضلها الموافق والمخالف، فجزاهم الله عن الأمة خيراً في حفظ دينها وشريعتها .

وهذا البحث المتواضع يسلط الضوء على جهودهم في تدوين كتب العقيدة السلفية والدفاع عنها ، أحببت أن أبين من خلاله فضلهم وجزيل عملهم ونفعهم ونصيحتهم ومكانتهم الدين ، والله الموفق والمعين .

خطة البحث:

هذا البحث يحتوي على ستة مباحث مترابطة وخاتمة:

المبحث الأول : مصطلحات ومفاهيم.

المبحث الثاني : الحديث النبوي مكانته وفضله وشرف حمله ونقله.

المبحث الثالث : جهود المحدثين في حفظ السنة .

المبحث الرابع : الفرق البدعية الكبرى المخالفة للسلف .

المبحث الخامس : أصول الاعتقاد الكبرى ، وبيان مخالفة أهل الأهواء أهل السنة فيها.

المبحث السادس: جهود المحدثين في تدوين العقيدة والرد على المخالفين، وبيان أهم الكتب المؤلفة في ذلك في القرون الخمسة الأولى .

خاتمة : وفيها أهم النتائج .

المبحث الأول : مصطلحات ومفاهيم

التعريف بـ (الحديث)و(السنة)و(العقيدة)و(السلف) :

الحديث لغة : ضد القديم .

واصطلاحاً : ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قول ، أو فعلٍ ، أو تقرير ، أو صفة .

وعلم الحديث : هو العلم المتعلق بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روايةً ، ودرايةً.

والمحدث : هو المشتغل بالحديث روايةً ودرايةً[١] .

تعريف السنة :

السنة لغة : السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة[٢] .

والسنة اصطلاحاً : لها عدة معاني بحسب تنوع العلوم الشرعية واختلافها:

١ . فالسنة عند (الأصوليين): ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير القرآن[٣] .

٢ . وعند (الفقهاء) يراد بها : ما فعله ثواب وليس في تركه عقاب .

٣ . السنة عند المحدثين لها عدة معاني :

قال ابن تيمية رحمه الله : السنة هي ما سنه الرسول وما شرعه . فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد ، وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل ، وقد يراد به كلاهما[٤] .

تضمن كلامه رحمه الله ثلاث معاني :

---

(١) قواعد التحديث ١/٣٠ .

(٢) تاج العروس شرح القاموس ٣٥/٢٣٠ ، جمهرة اللغة ١/٤٥ .

(٣)مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص ٢٦.

(٤)مجموع الفتاوى ١٩/٣٠٧.

أ . كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير .. وهذا المعنى يرادف معنى (الحديث) ؛ ولهذا يقال : كتب (السنة) أوكتب (الحديث) كالجوامع والمصنفات والمسانيد وغيرها من (كتب السنة) .

ب. ما يتعلق بالاعتقاد خاصة ومنه كتب (السنة) الآتي ذكرها في هذا البحث.

ج. ما يتعلق بالعمل ، ومنه كتب (السنن) كالسنن الأربعة وغيرها . وفي بحثنا هذا قد نريد بلفظ (السنة) المعنى الأول الشامل ، وقد يراد به المعنى الثاني المختص بالعقيدة والسياق يحدد ذلك.

تعريف العقيدة لغةً:

العقيدة لغة : من (العَقْدِ) وهو الربط والشدّ بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام، والتماسُك والمراصَّة ، والإثبات والتوثق. ويطلق على العهد وتأكيد اليمين (عَقْدٌ) . وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة) [٥]. وقد تكون صحيحة وقد تكون باطلة .

والعقيدة الإسلامية في الاصطلاح :

الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح ، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ولرسوله – صلى الله عليه وسلم – بالطاعة والتحكيم والاتباع[٦].

التعريف بـ (السلف) :

السلف في اللغة : ما مضى وتقدم . يقال : سَلَفَ الشيءُ سلفاً : أي مضى . والسلف : الجماعة المتقدمون.

---

(٥) انظر : لسان العرب (عقد) ٣ / ٢٩٥ – ٣٠٠ .والقاموس المحيط (عقد) ١ / ٣٢٧ – ٣٢٨ .

(٦) (الإيمان بالله) لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ٢ .

وفي الاصطلاح : الصحابة والتابعون وتابعوهم من القرون المفضلة من الأئمة الأعلام المشهور لهم بالإمامة والفضل والاتباع. ولهذا سمي الصدر الأول بـ (السلف الصالح) [٧].

أهل السنة والجماعة :

قال ابن تيمية رحمه الله: (أهل السنة والجماعة، هم سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان) [٨]. فأهل السنة والجماعة هم المتصفون باتباع السنة ومجانبة محدثات الأمور والبدع في الدين . ويُسمون **أهل الحديث** : وهم الآخذون بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، والمتبعون لهديه - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً . فأهل السنة كلهم أهل حديث على هذا المعنى. وقد ذكر اللالكائي طائفةً من علماء الأمة ممن وصفهم بـ (بالإمامة في السنة، والدعوة ، والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة)[٩].

فممن ذكرهم من الصحابة:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وعمار بن ياسر، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر الجهني، وسلمان، وجابر، وأبو سعيد الخدري .

وممن ذكرهم من التابعين من أهل المدينة :

سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسليمان بن يسار، ومحمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين بن علي،

---

(٧) الوجيز في عقيدة السلف الصالح عبدالله بن عبدالحميد الأثري ص ١٥.

(٨) مجموع الفتاوى (٢٤/٢٤١) .

(٩) تأمل وصف اللالكائي لهم بـ (الإمامة ، والسنة ، والدعوة ، والاستقامة)، وقد جعل من هؤلاء الأئمة (زيد بن علي بن الحسين) وآخرين من أهل البيت، ومنه تعرف مكانة هذا الإمام عند أهل السنة، وأن ما ينسب إليه من الاعتزال باطل.

وابنه محمد بن علي بن حسين، وعمر بن عبد العزيز، وكعب بن ماتع الأحبار، وزيد بن أسلم .

ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة:

محمد بن مسلم الزهري ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وعبد الله بن يزيد بن هرمز، وزيد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن حسن، وجعفر بن محمد الصادق .

ومن الطبقة الثالثة من أهل المدينة:

أبو عبد الله مالك بن أنس الفقيه، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون.

ومن بعدهم :

ابنه عبد الملك بن عبد العزيز، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري.

ومن أهل مكة أو من يعد منهم :

عطاء، وطاوس، ومجاهدٌ، وابن أبي مليكة .

ومن بعدهم في الطبقة :

عمرو بن دينار ، وعبد الله بن طاوس ، ثم ابن جريج ، ونافع بن عمر الجمحي، وسفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، ومحمد بن مسلم الطائفي، ويحيى بن سَليم الطايفي، ثم أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الفقيه، ثم عبد الله بن يزيد المقري، وعبد الله بن الزبير الحميدي رضي الله عنهم أجمعين .

ثم ذكر علماء آخرين من أهل الشام والكوفة ومصر وواسط وبغداد وخراسان وغيرهم[١٠].

(١٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باختصار (١/ ٢٩) وتراجم هؤلاء الأعلام معروفة في كتب الرجال .

المبحث الثاني : الحديث النبوي مكانته وفضله وشرف حمله ونقله

بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، قال تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)[١١].

فأوجب الله بعد الإيمان به الطاعة له والاتباع .

وقد ورد الأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم مقترنا بطاعة الله تعالى في القرآن الكريم صراحة في مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً) [١٢].

وقوله تعالى : (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [١٣].

وقوله تعالى : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [١٤] .

وقوله تعالى :(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [١٥].

وقوله تعالى: (وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) [١٦].

---

[١١] الأعراف آية ١٥٧.

[١٢] النساء آية ٥٩ .

[١٣] النساء آية ٨٠.

[١٤] آل عمران آية ٣٢ .

[١٥] التغابن ١٢ .

[١٦] النساء ١١٣ .

وقوله مخاطباً نساء النبي : (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)[١٧]. وقد فسر العلماء (الحكمة) بأنها سُّنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال الإمام الشافعي: (ذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[١٨] . وفى الحديث :(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) [١٩] . فالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة شرطُ صحة الإسلام، وشطر كلمة التوحيد (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله). والسنة جاءت مؤكدة لما في القرآن، ومفسرة له، تفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامة، كما أنها جاءت بأحكام جديدة[٢٠]. ولقد أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بما جاء عنه والعض عليه بالنواجذ فقال :(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ ...) [٢١] ودعا لمن حفظها وبلغها بالثواب العظيم فقال : (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها، وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم : إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم). وفى رواية : (فرب مبلغ أوعى من سامع) . قال الترمذي : (حديث حسن صحيح) [٢٢] . قال الرامهرمزي في التعليق على هذا الحديث : (ويحتمل معناه وجهين : أحدهما : يكون في معنى ألبسه الله النضرة، وهى الحسن، وخلوص اللون ؛ فيكون تقديره جمله ُ الله زينة الوجه.

---

(١٧) الأحزاب ٣٤.

(١٨) الرسالة ص ٧٨.

(١٩) رواه أبو داود (٣٢٨/٤) رقم (٤٦٠٦) .

(٢٠) انظر : كتاب (السنة النبوية ومكانتها في التشريع الاسلامي لمصطفى السباعي رحمه الله .

(٢١) الترمذي (٤٤/٥) رقم (٢٦٧٦) .

(٢٢) الترمذي (٣٤/٥) رقم (٢٦٥٨) وابن ماجه (٢٣٠/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

والثاني: أن يكون في معنى : أوصله الله إلى نضرة الجنة، وهى نعمتها، ونضارتها لقوله تعالى: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) [٢٣]، قوله سبحانه : (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا)[٢٤].

نظم هذا المعنى إبراهيم بن عبد القادر الرياحى التونسي في قوله:

أهل الحديث طويلة أعمارهـــم ووجوههم بدعا النبي منضرة
وسمعت من بعض المشايخ أنهم أرزاقهم أيضاً به متكثـــرة

وعلم الحديث (السنة) هو الميراث النبوي العظيم، وأهل الحديث هم أسعد الناس بهذا الميراث. قال ابن الوزير رحمه الله:

العلم ميراث النبي كذا أتى في النصِّ والعلماء هم ورّاثهُ
فإذا أردت حقيقة تدرى لمـــن وراثه فكرت ما ميراثـــهُ
ما ورث المختار غير حديثـــه فينا، وذاك متاعه وأثاثـــهُ
فلنا الحديث وراثة نبويـــةً ولكل محدث بدعةٍ إحداثهُ

ولهذا كان علم الحديث أجل العلوم بعد علوم القرآن ، وطلبه والانشغال به من أفضل العبادات والأعمال.

قال سفيان الثوري : (ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية) [٢٥].

وقال ابن المبارك : (ما أعلم شيئاً أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله) [٢٦].

قال الإمام الشافعي : (من حفظ الفقه عظمت قيمته، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم الشعر والعربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه) [٢٧].

---

(٢٣) المطففين آية ٢٤.

(٢٤) الإنسان آية ١١ ، وانظر : المحدث الفاصل ١٦٧.

(٢٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٥.

(٢٦) المدخل للسنن الكبرى (١/٣٧٢).

(٢٧) مناقب الشافعي ١٥٠/٢ ، جامع بيان العلم ٢٥١/١ .

وعلم الحديث (من العلوم الأخروية، والنجاة لمن تمسك به من كل بلية، والعصمة لمن التجأ إليه، والهدى لمن استهدى به وعول عليه، وأهله حفاظ الشريعة من الأعداء، وحارسها ممن يريد التمرد والشقاء، ولولاهم لاضمحل الدين، وكان عرضة لتلاعب المتمردين، وهم عدول هذه الأمة، والكاشفون عنها كل غمة، وخلفاء النبي – عليه السلام - وأهله الخاصون به من الأنام، وكفاهم شرفا أنهم أكثر الناس صلاة على حبيبه المصطفى، وقد اشتهروا بطول الأعمار، والتجربة مصدقة لذلك في سائر الأعصار، ودعا لهم النبي بالرحمة والنضارة، وبشرهم بالجنة بأجل معاني البشارة)[٢٨] . قال الحافظ ابن الوزير اليماني رحمه الله عن علم الحديث الشريف : (فإنه علم الصدر الأول . والذي عليه بعد القرآن المعوّل، وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس، وهو المفسر للقرآن بشهادة (لتبين للناس) [٢٩] ، وهو الذي قال الله فيه تصريحا (إن هو إلا وحي يوحى) [٣٠] وهو الذي وصفه الصادق الأمين بمماثلة القرآن المبين حيث قال في التوبيخ لكل مترف إمَّعه (إني أوتيت القرآن ومثله معه) [٣١] وهو العلم الذي لم يشارك القرآن سواه في الإجماع كفر جاحد المعلوم من لفظه ومعناه.

وهو العلم الذي إذا تجاثت الخصوم للركب، وتفاوتت العلوم في الرتب، أصمت مرنان نوافله كل مناضل، وأصمت برهان معارفه كل فاضل. وهو العلم الذي ورثه المصطفى المختار والصحابة الأبرار، والتابعون الأخيار. وهو العلم الفائضة بركاته على جميع أقاليم الإسلام، الباقية حسناته في أمة الرسول عليه السلام. وهو العلم الذي صانه الله من عبادات الفلاسفة وتقيدت عن سلوك مناهجه فهي راسفة، في الغلاء آسفة . وهو العلم الذي جلّى الإسلام به في ميدان الحجة

(٢٨) الرسالة المستطرفة ص٢ .

(٢٩) يشير إلى آية النحل : ٤٤.

(٣٠) سورة النجم آية ٤.

(٣١) الحديث الذي أشار إليه رواه أحمد٤/١٣١ ، وأبوداود ٥/١٠ وإسناده صحيح .

وصلّى[٣٢] ، وتحمل بديباج ملابسة من صام لله وصلى. وهو العلم الفاضل حين تلجلج الألسنة بالخطاب، الشاهد له بالفضل رجوع عمر بن الخطاب. وهو العلم الذي تفجرت منه بحار العلوم الفقهية، والأحكام الشرعية، وتزينت بجواهره التفاسير القرآنية، والشواهد النحوية، والدقائق الوعظية.

وهو العلم الذي يسلك بصاحبه نهج السلامة ويوصله إلى دار الكرامة، والسارب في رياض حدائق نهج السلامة ويوصله إلى دار الكرامة، والساري في رياض حدائق الشارب من حياض حقائقه، عالم بالسنة، ولابس من كل صوف جنة وسالك منهاج الحق إلى الجنة. وهو العلم الذي يرجع إليه الأصولي، وإن برز في علمه، والفقيه، وإن برَّز في ذكائه وفهمه، والنحوي وإن برَّز في تجويد لفظه، واللغوي وإن اتسع في حفظه، والواعظ البصر، والصوفي والمفسر ؛ كلهم إليه راجعون، ولرياضه منتجعون)[٣٣]. وقال الصنعاني فيه : (علم قديم الفضل، شريف الأصل، دل على شرفه العقل والنقل ... ولا ريب أن علم الحديث من أشرف العلوم وأفضلها ؛ لأنه ثاني أدلة علوم الإسلام، ومادة علوم الأصول والأحكام، لا يرغب في نشره إلا كل صادق تقي، ولا يزهد في نصره إلا كل منافق شقي) [٣٤] .

وقال الشوكاني : (اعلم أن أعظم العلوم فائدة، وأكثرها نفعا، وأوسعها قدراً، وأجلها خطراً، علم السنة المطهرة ؛ فإنه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز ثم استقل بما لا ينحصر من الأحكام) [٣٥] .

قال الخطيب البغدادي في الثناء على أهل الحديث وبيان شرفهم وفضلهم: (وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، وأنوارهم

---

(٣٢) المجلّي : هو الذي يأتي من الخيل في السباق أولاً ، والمصلّى : هو الذي يأتي في السباق ثانياً وصيغة الماضي منهما (جلّى ، وصلّى) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ١/١١٩.

(٣٣) الروض الباسم ص ٤ .

(٣٤) توضيح الأفكار (١/١١ ، ١٢، ١٣) .

(٣٥) أدب الطلب ص ١٤٩ .

زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فئتهم، والله نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه، والعدول حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، ومنهم كل عالم وفقيه، وحام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا تجاهر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، والمحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير) [٣٦]. وكلام أهل العلم في الثناء على علم الحديث وأهله كثير في هذا الباب[٣٧].

---

(٣٦) شرف أصحاب الحديث ص ٨.

(٣٧) انظر : قواعد التحديث للقاسمي ٣١٠/١ ، (فضائل الحديث والمحدثين) لبدر عبد الحميد هميسه .

المبحث الثالث: جهود المحدثين في حفظ السنة

حظيت السنة باهتمام بالغ قبل الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المسلمين، ويتجلى ذلك الاهتمام من خلال حرصهم على سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله سلم، وحضور مجالسه، والاتساء به ومتابعته في كل صغيرة وكبيرة من أقواله وأفعاله بصورة دقيقة متناهية، وتعليمها، والعمل بها في جميع شؤون حياتهم .

ومع وجو عدد من كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا يكتبون الوحي وغيره من الرسائل والمواثيق إلا أنهم لم يكونوا يكتبون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل اعتمد الصحابة على حفظ الصدر، ساعدهم في سهولة حفظها والمحافظة عليها ما جبلهم الله عليه من قوة الحافظة التي اشتهر بها العرب ونقلوا بها كل مآثرهم وأخبارهم وأشعارهم وغيرها كما هو معلوم.

وقد وردت نصوص تنهى عن كتابة الحديث، وأخرى تبيح الكتابة .

فمن الأحاديث التي فيها النهي عن الكتابة :

١ . حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : (لاَ تَكْتُبُوا عَنِّى وَمَنْ كَتَبَ عَنِّى غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّى وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَىَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) [٣٨] .

٢ . حديث أبي هريرة رضي الله قَالَ : كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ؟ فَقُلْنَا : مَا نَسْمَعُ مِنْكَ، فَقَالَ : أَكِتَابٌ مَعَ كِتَابِ اللهِ ؟ فَقُلْنَا : مَا نَسْمَعُ، فَقَالَ : أَكِتَابٌ غَيْرُ كِتَابَ اللهِ امْحِضُوا كِتَابَ اللهِ، وَأَخْلِصُوهُ قَالَ : فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا : أَيْ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَتَحَدَّثُ عَنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ تَحَدَّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ[٣٩] .

---

(٣٨) صحيح مسلم ٤/٢٢٩٨ رقم (٣٠٠٤) .

(٣٩) أحمد (١٢/٣) .

ومن الأحاديث التي فيها السماح بالكتابة :

١ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَىْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَتْنِى قُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَىْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِى الْغَضَبِ وَالرِّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم - فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ: (اكْتُبْ فَوَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلاَّ حَقٌّ)[٤٠] .

٢ . وعن أبي هُرَيْرَةَ قال : (مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلاَّ مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ، وَلاَ أَكْتُبُ)[٤١] .

وبالنظر في الأحاديث الواردة في النهي والإباحة نجد أن الأحاديث الواردة في النهي لم يصح منها إلا حديث أبي سعيد رضي الله عنه المخرج عند الإمام مسلم، وأما الأحاديث الأخرى فلا تصلح للحجة، وكانت الأحاديث الواردة في الإباحة أكثر عدداً وأصح سنداً[٤٢] .

وقد فسر النهي عن كتابة الحديث بأن ذلك خشية اختلاطه بالقرآن الكريم الذي لم يكن جمع بعد، وكذلك خشية انشغال المسلمين بالحديث عن القرآن وهم حديثو عهد به .

وذهب بعض العلماء إلى أن أحاديث النهي منسوخة بأحاديث السماح بالكتابة، وممن ذهب إلى ذلك ابن قتيبة الدينوري، والخطابي، ومن المعاصرين أحمد شاكر[٤٣].

لهذا لم يكن الحديث مكتوباً بصورة شاملة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.

---

(٤٠) أبوداود(٣/٣٥٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٣٢) .

(٤١) البخاري (١/٣٩) رقم (١١٣) .

(٤٢) كتابة الحديث النبوي بين النهي والإذن ص(٣٨).

(٤٣) انظر : بحوث في تاريخ السنة ص (٢٩١) .

فلما كان عصر التابعين وجدت الحاجة لحفظ العلم وكتابة السنة خوف ضياع بعضها بموت أهلها، وممن تنبه على ذلك الخليفة العادل عمر بن عبدالعزيز رحمه الله (ت ١٠١) فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم:(انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم فاكتبه ؛ فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه و سلم، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً)[٤٤]. وقد كان لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري[٤٥] جهد عظيم في جمع السنة في ذلك الوقت، فقد روي عنه أنه قال : (لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني) [٤٦]. وقال الإمام مالك بن أنس: (أول من دون العلم ابن شهاب) [٤٧]. وقد نبغ بعد الإمام الزهري كثير من العلماء الأجلاء، وبعضهم ممن أخذ عنه الحديث، فصنفوا المصنفات الأولى في الحديث التي تعد باكورة المصنفات الحديثية. قال ابن حجر : (ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار، وتبويب الأخبار، لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكرى الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما وكانوا يصنفون كل باب على حدة . إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام : فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج بمكة، وأبو عمر وعبد

---

(٤٤) البخاري (٣٦/١) رقم (٣٤) .

(٤٥) محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الائمة الاعلام وعالم الحجاز والشام (ت ١٢٣ وقيل بعدها) . قال ابن عيينة عن عمرو ابن دينار : ما رأيت انص للحديث من الزهري . وقال الليث عن جعفر بن ربيعة قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة ؟ فذكر سعيد بن المسيب، وعروة، وعبد الله بن عبدالله . قال عراك : وأعلمهم عندي جميعا ابن شهاب لانه جمع علمهم إلى علمه. قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : لم يبق أحدا علم بسنة ماضية منه . انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء (٤٠٨/٩)، تهذيب التهذيب (٣٩٨/٩) .

(٤٦) الرسالة المستطرفة ص ٣ .

(٤٧) تاريخ ابن أبي خيثمة ٢٥٠/٤ .

الرحمن بن عمر والأوزاعي بالشام، وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري بالكوفة، وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم) [٤٨] .

وقد استمر التأليف والعناية بالسنة في القرن الثاني والثالث وما بعدها وتنوعت المصنفات، وتفنن العلماء فيها، وتأسس علم الرجال، وما تضمنه من قواعد الجرح والتعديل، وغير ذلك علوم الرواية والدراية ما يعد مفخرة من مفاخر المسلمين، ومظهراً من مظاهر الحضارة الاسلامية الراقية . ومن هذه الكتب المهمة المتعلقة بالرواية:

١ . كتب الصحاح : وهي الكتب التي التزم أصحابها إخراج الحديث الصحيح، وأشهر هذه الكتب : صحيح البخاري (ت ٢٥٦)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١) وصحيح ابن خزيمة (ت٣١١)، وصحيح ابن حبان البستي (ت ٣٥٤) .

٢ . المستخرجات على الصحيحين أو أحدهما : والاستخراج : أن يعمد محدث لأحد الكتب الحديثية المسندة فيخرج حدثيها لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، ملتقياً بشيخ صاحب المصنف المستخرج عليه أو من فوقه، ولو في الصحابي، مع رعاية ترتيبه، ومتونه، وطرق أسانيده. ويسمى ذلك الكتاب بـ (المستخرج) [٤٩]، وله فوائد حديثية وفقهية عديدة، منها: الزيادة في الصحيح. ومن أشهر هذه المستخرجات : مستخرج الإسماعيلي (ت ٣٧١)، ومستخرج أبي عوانة الاسفرائيني (ت ٣١٦)، ومستخرج البرقاني (ت ٤٢٥).

٣ . كتب السنن : وهي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان، والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها، وليس فيها شيء من الموقوف[٥٠]. وقد ذكر الكتاني خمسة وعشرين كتاباً من كتب السنن[٥١]، وأشهر كتب (السنن) :

---

(٤٨) هدي الساري ٦/١.

(٤٩) تدريب الراوي ١١٢/١ .

(٥٠) الرسالة المستطرفة ص ٣٢ .

(٥١) المصدر السابق ص ٣٢ .

سنن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥)، وسنن الترمذي (ت ٢٧٩)، وسنن النسائي (ت ٣٠٣)، وسنن ابن ماجه (ت٢٧٣)، وهي المشهورة بالسنن الأربعة، وتسمى مع الصحيحين : الكتب الستة، وهي أمهات الكتب الحديثية وأصولها وأشهرها[٥٢] .

٤ ـ كتب السنة : وهي الكتب الحاضة على اتباعها والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء[٥٣] . ومنها : السنة للإمام أحمد (ت ٢٤١)، ولأبي داود (ت ٢٧٥)، ولابن أبي عاصم (ت ٢٨٧) وغيرها . وسيأتي مزيد تفصيل عن هذه الكتب في مبحث مستقل .

٥ ـ المصنفات والجوامع : وهي كتب مرتبة على أبواب الفقه، مشتملة على السنن والآثار، ومنها : مصنف حماد بن سلمة البصري (ت١٦٧) . وجامع معمر بن راشج الأزدي (ت١٥٣) . ومصنف وكيع بن الجراح الرؤاسي (ت ١٩٧) . ومصنف عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١) . وتهذيب الآثار لأبي جعفر الطبري (ت٣١٠) . وشرح معاني الآثار لأبي جعفر الطحاوي (ت٣٢١) .

٦ ـ كتب المسانيد : المسانيد جمع مسند، وهي الكتب التي جعلت حديث كل صحابي على حدة، وهي كثيرة جداً، ومن أشهرها: مسند أحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١) . ومسند مسدد بن مسرهد البصري (ت٢٢٨) . ومسند أبي بكر الحميدي المكي (ت٢١٩) . ومسند أبي بكر البزار (ت٢٩٢) . ومسند أبي يعلى الموصلي (ت٢٠٧).

٧ ـ كتب التفسير : وهي كتب جمعت الروايات المسندة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمنقولة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تفسير القرآن، ومنها: تفسير عبدالرزاق الصنعاني (ت٢١١) . وتفسير أبي جعفر الطبري (ت٣١٠) . وتفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧) .

٨ ـ كتب المصاحف والقراءات .

---

(٥٢) المصدر السابق ص ١١ .

(٥٣) المصدر السابق ص ٣٨ .

٩. كتب الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث.

١٠ . الكتب المفردة في مواضيع مخصوصة من الفقه، والآداب، والآخلاق، والترغيب والترهيب. وهذه الكتب بحر لا ساحل له، يصحب حصرها وذكر أفرادها، فمنها مؤلفات في الطهور خاصة، أو الصلاة، أو الزهد، أو الأموال، أو مكارم الأخلاق .

١١ . كتب المراسيل.

١٢. الأجزاء الحديثية .

١٣ . الفوائد الحديثية.

١٤ . كتب الشمائل النبوية، والسير والمغازي.

١٥ . كتب في جمع أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين.

١٦ . كتب الغرائب والأفراد.

١٧ . كتب (الوحدانيات) و(الثنائيات) و (الثلاثيات) ونحوها. هذه لمحة مختصرة عن كتب (الرواية) في القرون الثلاثة الأولى، وقد تلتها بعد ذلك كثيرة من المؤلفات الحديثية، ككتب الأحكام، والكتب الموسوعية الجامعة، وكتب التخريج، وكتب الموضوعات، غيرها من الكتب المتفرعة عنها.

وقد كان للمحدثين جهود كبيرة في (علم الرجال) وهو المتعلق بمعرفة رواة الحديث ومعرفة مراتبهم من جرحاً وتعديلاً وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالحديث رواية ودراية مما لا يتسع المقام لذكرها.

المبحث الرابع: الفرق البدعية الكبرى المخالفة للسلف

بدأ ظهور الفرق المخالفة للسنة في القرن الأول الهجري، ثم زادت تلك الفرق وتفرعت وكثرت كثرة يصعب حصرها.

وأمهات هذه الفرق وأشهرها: ١ . الخوارج ٢ . الشيعة والروافض. ٣ . الجهمية. ٤ . المعتزلة. ٥. المرجئة. ٦ . الجبرية. ٧ . الباطنية. ٨ . الكُلاَّبية. ٩ . الصوفية. ١٠- الأشعرية والماتريدية . وهذا تعريف موجز بهذه الفرق:

(١) الخوارج

الخوارج: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم. سموا بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بأنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين، أولأنهم يخرجون على أئمة المسلمين وعامتهم بالسيف.[٥٤]
وفرق الخوارج كثيرة، وقد جاوزت العشرين فرقة ومن أشهرها: الأزارقة، والصّفرية، والنَّجَدات، والإباضية .ويعتبر الخوارج من أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة[٥٥].

(٢) الشيعة

من أول الفرق ظهوراً . وتطلق الشيعة على عدة فرق تنتسب إلى القبلة، وقد ذكر المقريزي أن فرقهم بلغت (٣٠٠) فرقة[٥٦]. ويجمعها كلُّها الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٥٧]. وهذه الفرق منها الغالية، وقد عدّ الأشعري من الغالية خمسة عشر فرقة مثل: البيانية، والسبئية، والخطابية[٥٨]، ومنها دون ذلك.
ومن فرق الشيعة الغالية (الإمامية الاثناعشرية) لقولهم بإمامة اثني عشر إماماً معصوماً. وهي الفرقة (الرافضة)[٥٩]. وهي من أشد الفرق غلواً وفساداً وحقداً على أهل السنة . ومن أقرب فرق الشيعة للسنة (الزيدية) ما عدا (الجارودية) منهم ؛ فإنهم من غلاة الروافض.

(٣) الجهمية

---

٥٤ انظر: (الخوارج) لناصر لعقل ص ٢٨، مقالات الإسلاميين ص ١٦٧ - ٢١٢.

٥٥ المصدر نفسه ص ٣١.

٥٦ الخطط (٣١٥/٢).

٥٧ **تنبيه مهم** : المذموم **الغلوُّ** في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو الطعن فيه، وأما حبه وموالاته فهو من الإيمان كما يقول بذلك أهل السنة، وهذا بخلاف من ينسب إليهم جهلاً زوراً أنهم يكرهون علي بن أبي طالب وحاشاهم من ذلك.

٥٨ مقالات الإسلاميين ص ١ / ٦٥.

٥٩ سموا بذلك لرفضهم إمامة زيد بن علي رضي الله عنه ومناصرته بسبب موقفه المشرف وعدم إجابتهم للطعن في الشيخين أبي بكر وعمر، والقصة مشهورة .

إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وتنتسب إلى الجهم بن صفوان الترمذي صاحب مقالة التعطيل المتوفى سنة ١٢٨هـ.

ثم صار وصف الجهمية والتجهم للفرق التالية والتي يجمعها وصف (التعطيل) وهم ثلاث درجات:

١) الجهمية الغالية: النافون للأسماء والصفات .

٢) المعتزلة: يثبتون الأسماء وينفون الصفات.

٣) الكلابية والأشاعرة والماتريدية ومن شابهم ممن ينتسب للغة والحديث: يثبتون الأسماء وبعض الصفات ويأولون الباقي[٦٠] .

(٤) المعتزلة

فرقة من أهل القبلة نشأت في أواخر العصر الأموي وفي أول العصر العباسي ولا سيما زمن المأمون وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: القدرية، العدلية، الوعيدية.

(٥) المرجئة

عقيدة الإرجاء من المسائل المتعلقة بالإيمان وبيان حقيقته. وذلك أن السلف يعتقدون الإيمان قول وعمل. أي : قول القلب وعمله : كالحب والخوف والرجاء، والخشية، والإنابة والتقوى واليقين ونحوها. وقول اللسان: وهو النطق بالشهادة؛ ونحو ذلك من العبادات المتعلقة باللسان. وعمل الجوارح: من صلاة وصيام وغير ذلك. وهو شعب ودرجات، ينقص بالمعاصي ويزيد بالطاعات. (والمرجئة) ليست فرقة مستقلة، وأن كانت محددة الأصول والمناهج لكن ليس لها مدارس وفرق كالخوارج والشيعة والجهمية والمعتزلة ونحوها؛ لذا نجدها موزعة في أول نشأتها بين طوائف من الفقهاء وأفراد من المحدثين، وفي الجهمية وبعض فرق المعتزلة والخوارج و الكرامية والصوفية وعليها أكثر الأشاعرة و الماتريدية إلى اليوم[٦١] .

---

٦٠ انظر الموسوعة الميسرة (١٠٥٠/٢).

٦١ القدرية والمرجئة للعقل ص (٢٨ – ٨٥) وانظر : الموسوعة الميسرة (١١٥٣/٢).

(٦) الجبرية

القول بالجبر من الانحرافات العقدية المتعلقة بالقدر، وذلك أن الجبرية يعتقدون أن الله (جبر) العباد على أفعالهم، وأنه لا تأثير لهم في إيجادها، ونسبة الأفعال إليهم مجاز ليس بحقيقة. وأول من نسب إليه مقالة الجبر (الجعد بن درهم) وورثة الجهم بن صفوان على ذلك وبدعة (الجبرية) مقابلة لبدعة القدرية القائلين بخلق أفعال العباد وهم المعتزلة . وقد دخل القول بالجبر طوائف من الفرق الأخرى كالصوفية الغلاة، والأشاعرة ؛ إذ أن عقيدة الأشاعرة في مسألة الأسباب والمسببات نوعٌ من الجبر .

(٧) الباطنية

فرقة من الفرق المتسترة بالتشيع وحب آل البيت، وتضم عدة فرق متشعبة[٦٢]. وهي وإن كانت تنتسب إلى الإسلام ظاهراً فإنها في حقيقة الأمر مخالفة للإسلام ومناقضة له . قال عبدالقاهر الجرجاني:(ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم)[٦٣]. سميت الباطنية بذلك لأنها ترى أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ويقصدون بـ (الظاهر) ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويسمى بالتنزيل، ويقصدون بـ (الباطن) علم التأويل الخاص بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن أشهر فرق الباطنية : القرامطة، والإسماعيلية . والفاطمية، والنصيرية. والدروز . والبابية والبهائية.

(٨) الصوفية

فرقةٌ بل فرقٌ كثيرةٌ يجمعها منهجٌ وأصولٌ مشتركةٌ، ارتبط ذكرها بالمبالغة في الزهد والتقلل من الدنيا[٦٤]، والرياضات والبدنية وسلوك منهج الرهبان في الدعوة إلى العزلة، والبعد عن العلائق الدنيوية. ولكل فرقة منها طقوس مميزة وعقائد وبدع متوارثة. وقد كان (التصوف) في أول ظهوره أقرب إلى الزهد

---

٦٢ تعتبر (الباطنية) من الفرق الشيعية الغالية، وبعض الباحثين لا يعدها من الفرق الإسلامية أصلاً .

٦٣ الفرق بين الفرق ص ٢٩٣، وانظر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان كفرهم الفتاوى (٨١/١٨ -٨٨)

المشروع، وتقل فيه الانحرافات، ثم ما لبث أن تطور الأمر حتى صار منهجاً له أصول وقواعد وآداب معينة وشطحات مخالفة للسنة .

(١١.٩) الكلاّبية و الأشعرية والماتريدية

هذه الفرق متقاربة في الاعتقاد، وهي من أشهر الفرق الكلامية.

أما (الكُلاَّبية) فهي نسبةً لعبد الله بن سعيد بن كُلاّب (ت ٢٤٠). وأما (الأشعرية) فهي نسبة لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤). وأما (الماتريدية) فهي نسبة لأبي منصور الماتريدي (٣٣٣) . وتعتبر مقولات ابن كُلاَّب الأصولُ التي بنى عليها الأشعري مذهبه بعد تخليه عن مذهب المعتزلة وقبل أن يتحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما صرح بذلك في آخر كتبه.

ولذا يعتبر بعض الأشاعرة ابن كلاب المؤسس الأول للمذهب[٦٥]. والماتريدية كالأشاعرة في أغلب الأصول والسمات. وقد ارتبطت الماتريدية بالمذهب الحنفي، كما ارتبطت الأشعرية بالمذهب الشافعي والمالكي غالباً. وقد تطور المذهب الأشعري، ومرت الأشعرية بعدة مراحل، وقد كان أوائل الأشعرية خير من متأخريهم، فهم يثبتون كثيراً من الصفات التي نفاها متأخروهم. قال الدكتور ناصر العقل: وقد تطورت الأشاعرة والماتريدية على مر القرون، وآل أمر كل واحدة منها إلى أن أصبحت فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية، صوفية، مقابرية، مرجئة [٦٦].

---

٦٤ وهناك فرق كبير بين (الزهد) الممدوح شرعاً الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلف الأمة، وبين (التصوف) المذموم الذي نتحدث عنه، فالزهد له ضوابط من الكتاب والسنة والتصوف جاوز حد الزهد إلى مجموعة من البدع والانحرافات العقدية والسلوكية .

(٦٥) الفرق الكلامية للعقل ص ٥٩.

(٦٦) المصدر نفسه ص ١٧٥.

المبحث الخامس: أصول الاعتقاد الكبرى ، وبيان مخالفة أهل الأهواء أهل السنة فيها.

في هذا المبحث المهم نلقى الضوء على أهم الأصول العقدية ، وموقف أهل السنة منها ، ومخالفات أهل الأهواء فيها. لا شك أن مقالات أهل الأهواء والبدع والافتراق كثيرة، ولا تقف عند حدّ ، وفي كل يوم تتولد أهواء وتظهر فرقٌ لم تكن معروفة من قبل! لكن يمكن بالاستقراء أن يحصر الباحث أصولهم الكبرى التي خالفوا فيها عقيدة السلف على وجه التقريب كالتالي:

أولاً : حقيقة (الإسلام) و(الإيمان):

عند أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل : قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح . وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. والأدلة على ذلك كثيرة. وخالفهم في ذلك أهل الأهواء : فقالوا: إن الإيمان مجرد المعرفة، أو قول اللسان، أو مجرد تصديق القلب فقط، أو غير ذلك. ويترتب على قولهم أقوال فاسدة مثل: تكفير مرتكب الكبيرة، أو الحكم له بالإيمان الكامل، أو إخراج العمل من مسمى الإيمان . ويترتب على كلامهم أيضاً : أن الإيمان أهله فيه سواء، وأنه لا يزيد ولا ينقص.

ثانياً: فيما يتعلق بحقيقة (التوحيد) :

من المعلوم المقرر عند أهل السنة أن (التوحيد) عند الإطلاق يشمل ثلاثة أمور:

١ ـ توحيدُ الربوبيةِ والخالقيةِ والرازقيةِ ونحوِها .

ومعناه: أن اللّهَ وحدَه هو الخالقُ للعالمِ، وهو الربُّ لهمْ والرازقُ لهمْ. قال الصنعاني : وهذا لا ينكرُه المشركونَ، ولا يجعلونَ للّهِ فيهِ شريكاً، بلْ همْ مُقِرُّونَ بهِ[٦٧] .

٢ ـ توحيدُ العبادةِ ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات، فهذا هو الذي جعلوا لله فيه شركاءَ[٦٨] .

---

(٦٧) تطهير الاعتقاد ص ٥ .

(٦٨) المصدر نفسه ص ٧.

٣ . توحيد الأسماء والصفات: معناه الاعتقاد الجازم بأَنَّ الله - عزَّ وجلَّ - له الأَسماء الحسنى والصفات العُلى ، وهو متَّصف بجميع صفات الكمال ، ومنزَّهٌ عن جميع صفات النقص ، متفرد بذلك عن جميع الكائنات[٦٩]. وقد وقعت المخالفة من أهل البدع في كثير مما سبق:

. ذهب كثيرٌ من المتكلمين وأهلُ الفلسفة والتصوفِ إلى أن غاية التوحيدِ إثباتُ وجودِ الرب أو كما يسمونه (واجب الوجود)، فأكبر ما يشغلون أنفسهم به ويقررونه في مسألة التوحيد إثبات توحيد (الربوبية)، وهذا أمرٌ لم يكن ينكره المشركون كما سبق بيانه.

- ومن أهل البدع من يناقض توحيد الربوبية: وذلك بنسبة الخلق، أو الرزق والنفع والضر لغير الله تعالى أو أن يضفي صفات الربوبية وخصائصها على غير الله سبحانه وتعالى، كما حدث من الباطنية، وغلاة الرافضة، وغلاة الصوفية وغيرهم.

. وأحياناً تقع المخالفة لتوحيد العبادة: وذلك بصرف شيء من العبادات لغير الله وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وجعلهم غاية التوحيد إثبات الربوبية لله عز وجل، وتقصيرهم أو إهمالهم لتوحيد العبادة، وجهلهم بحقيقة (العبادة) وما يدخل فيها. وتظهر هذه المخالفات من القبوريين، وكثير من المتكلمين.

- وأحيانا تقع المخالفة لتوحيد الأسماء والصفات: وذلك يكون بنفي وتعطيل الأسماء والصفات إما تعطيلاً كلياً أو جزئياً أو تشبيه الله بخلقه، أو الزيادة فيها. وينتج عن ذلك:

١ . إنكار أسماء الله كلها أو بعضها .

٢ . تسمية الله بما لم يسم به نفسه.

---

(٦٩) الوجيز في عقيدة السلف الصالح ص ٤٢ .

٣ . إنكار صفات الله كلها أو بعضها . ومن ذلك إنكار صفة العلو، والكلام، وإنكار الرؤية.

٤ . تشبيه الله بخلقه.

ثالثاً : السمعيات (الغيبيات)

عند أهل السنة : يؤمن أهل السنة بالغيب تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم، فيؤمنون بالملائكة، ووجود الجن، ويؤمنون بالصراط، والميزان، والحوض، وعذاب القبر ونعيمه، وأشراط الساعة، والجنة، وما ورد من صفاتها، والنار، وما فيها وغير ذلك من الغيبيات. وخالف في ذلك أهل الأهواء : فأنكر بعضهم هذه السمعيات أو بعضها، وفسروها بأنواع من التأويلات والمجاز .

رابعاً : النبوّات

يؤمن أهل السنة أن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس، وأن الأنبياء خيار الناس، وأن دينهم واحد وهو الإسلام والتوحيد لله، وشرائعهم شتى، وأن النبوة ختمت ببعثة ولد سيد آدم محمد صلى الله عليه وسلم .

وخالف في ذلك أهل الأهواء : فمنهم من أنكر حقيقة النبوة، ومنهم من جعل حقيقتها ومعناها لغير الأنبياء من أئمتهم، ومنهم من ادعى وجود النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من البدع .

خامساً : القدر

يؤمن أهل السنة بالقدر خيره وشره من الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء خلقه الله بقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه فعال لما يريد، وأنه (لا حول ولا قوة إلا بالله) . وخالف في ذلك أهل الأهواء : فقال بعضهم بالجبر ؛ وهو غلو في القدر (الجبرية أو القدرية الأولى) . وقال بعضهم بخلق أفعال العباد ؛ وهو غلو في نفي القدر (القدرية) . ونفى بعضهم تأثير الأسباب في المسببات وهو (نوع من الجبر) .

سادساً : الإمامة

من الأصول العقدية المهمة التي وقع فيها الاختلاف بين الأمة مسألة (الإمامة) أو (الخلافة) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فعقيدة أهل السنة والجماعة : الإقرار بخلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحبُّهم، والترضي عنهم، وأنهم خيار الناس، وخلافتهم كانت الخلافة الراشدة في التاريخ. وأن (الإمامة) وولاية أمر المسلمين تكون في قريش[٧٠] .

والإمامة منصب شرعي غرضه : إقامة الدين وسياسة الدنيا به وطريقها : الشورى، واختيار أهل الحلّ والعقد من العلماء وذوي الشأن. ويلزم للإمام (الخليفة) السمع والطاعة في المعروف، والنصيحة له . وفارق أهل السنة في (الإمامة) فرقتان :

١ . الشيعة : ومذهبهم أن أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واختلفوا في خلافة الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان): فقال جمهور الزيدية : هي صحيحة، ولكن علياً أولى منهم، وأنه يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل . وقال بقية الشيعة : هي باطلة، ويسبونهم، ويلعنونهم. (والإمامة) عند غلاة الشيعة ركن من أركان الدين،

---

(٧٠) لثبوت الأحاديث الصحيحة فمنها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين) (البخاري رقم ٣٥٠٠) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنان) (البخاري رقم ٣٥٠١) .

قال ابن خلدون في مقدمته ٩٨/١ : (أما شروط هذا المنصب فهي أربعة: العلم ، والعدالة ، والكفاية ، وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل . واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي) .

ثم تكلم عن الحكمة من النسب القرشي ، وأرجع ذلك إلى حصول الكفاية وهو الشرط الرابع فقال : (فإذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغَلَب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكامَ بجيلٍ ولا عصرٍ ولا أمةٍ، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفايةِ فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على، المقصود من القر شية وهي وجود العصبية، فاشترطنا في القائم بأمور المسلمين أن يكون من قوم أولي عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها، ليستتبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية، ولا يعلم ذلك في الأقطار والآفاق كما كان في القرشية، إذ الدعوة الإسلامية التي كانت لهم كانت عامة، وعصبية العربِ كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وانما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة) .

وإلى ذهب بعض الباحثين في اعتبار شرط (القرشية) بأنه اعتبار تاريخي أكثر مما هو شرعي. انظر مفاتيح السياسية الشرعية ص ١٥ ، أسئلة الثورة ص١٥ .

وأصل من أصوله، لذلك سموا بـ (الإمامية). وطريقها : الوراثة في ذرية الحسين بن علي خاصة لا تخرج عنهم !!!

٢ . الخوارج : يقرون خلافة الشيخين، ويطعنون في عثمان وعلي، وقد يكفرونهما . ويقولون : الإمامة جائزة في كل الناس، قريش وغيرها .

سابعاً : سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يلتزم أهل السنة باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وتقديم سنته على أهوائهم وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وعدم التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم، والعمل بكل ما صح من الحديث عنه صلى الله عليه وسلم في العقائد والعبادات وغيرهما من أمور الدين . وخالف في ذلك أهل الأهواء : فمنهم من أنكر السنة مطلقاً (كمن يسمون أنفسهم في هذا الزمان بالقرآنيين)، ومنهم من أنكر بعضها أو فرّق بين الصحيح منها، ومنهم من قدم هواه أو أقوال غيره عليها، ومنهم من أهملها وفرّط فيها تفريطاً كبيراً .

ثامناً : مصادر التلقي

من المعلوم أن مصادر التلقي عند أهل السنة في الاعتقاد : الكتاب العزيز، والسنة المطهرة لا غير على فهم سلف الأمة . وقد خالفهم أهل الأهواء في ذلك ؛ فلهم مصادر أخرى اتخذوها ديناً يتحاكمون إليها، بل قدموها على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً . ومن تلك المصادر : الفلسفات الوثنية، وما أثر عن الأمم الضالة من اليهود والنصارى وغيرهم كما هو الشأن عند المتكلمين. العقل والرأي والظنون الفاسدة كما هو عند بعض المتكلمين . الروايات الكاذبة كما هو عند فرق الشيعة والصوفية وغيرهم . الأوهام والأحلام والمنامات وإيحاء الشياطين كما هو عند الصوفية . ادعاء كشف الغيب ومعرفة العلم اللدني كما عند الصوفية[٧١] .

---

(٧١) انظر: مقدمات في الافتراق والأهواء، ناصر بن عبدالكريم العقل ص ٨٨ .

تاسعاً : الآل والأصحاب والسلف

عقيدة أهل السنة في ذلك : حب الآل والأصحاب، وتوقيرهم، والترضي عنهم، واتباع سبيلهم، وعدم إيذائهم، والطعن فيهم . عقائد أهل الأهواء : منهم من غلا في ذلك وزاد، أو طعن في الآل أو الأصحاب والسلف الصالح، وانتقصهم أو سبهم ولمزهم، وخالف سبيلهم وطريقتهم.

عاشراً : أئمة المسلمين وولاة أمورهم

يدين أهل السنة بالنصح لهم وعدم غشهم، أو الخروج عليهم ومنازعتهم الأمر، ما داموا يحكمون بشريعة الإسلام، والسمع والطاعة لهم في المعروف، وجواز الصلاة خلف كل بَرٍّ وفاجرٍ من المسلمين . وخالف أهل الأهواء : فمنهم من أوجب الخروج على أولياء الأمور، ونزع يد الطاعة وتفريق الجماعة، ومن الناس من غلا في مداهنة الظالمين، وإعانتهم على بدعهم، وظلمهم، وغشهم، ومخادعتهم.

هذه أهم الأصول التي خالف فيها أهل أهل البدع والأهواء، وهناك أصول أخرى محلها المطولات[٧٢].

المبحث السادس: جهود المحدثين في تدوين العقيدة والرد على المخالفين، وبيان أهم الكتب المؤلفة في ذلك في القرون الخمسة الأولى

كان للمحدثين أثر كبير في الحفاظ على الشريعة الإسلامية سليمة من التغيير والتبديل كما جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتضح ذلك من خلال اهتمامهم بكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وتدوين ذلك، وتمييز الصحيح منه والسقيم وفق قواعد علمية صارمة مضطردة . ويمكن أن نوجز القول في بيان جهود المحدثين في مجال العقيدة في الأمور التالية :

(٧٢) انظر: مقدمات في الأهواء ص ١١٥-١١٧، أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي ص٢٠.

١ . التزامهم لعقيدة السلف قولاً واعتقاداً ، والدعوة لها . وسيرتهم وكلامهم في هذا الباب كثير لا يمكن حصره ، ويمكن الوقوف على كلامهم من خلال مطالعة المؤلفات المنقولة عنهم ، ومن خلال كتب السير والتاريخ وغيرها .

٢ . تدوين الكتب وجمع الأحاديث والآثار في بيان عقيدة السلف . وهذه الكتب الحديثية التي تتضمن عقيدة السلف نوعان :

النوع الأول : الكتب الجامعة للأحاديث المسندة في العقيدة وغيرها ، مثل كتب الجوامع ، والمصنفات ، والمسانيد ، والصحاح ، والمستخرجات وغيرها ، وقد تقدمت الإشارة إليها في المبحث الثاني.

النوع الثاني : الكتب المفردة في جانبٍ أو أكثر من جوانب الاعتقاد ، وهي كثيرة جداً ، بعضها وصلنا كاملا أو ناقصاً ، وبعضها ما زال في حيز المفقودات .

وسوف أذكر أهم هذه المصنفات حسب التسلسل التاريخي لوفيات مؤلفيها، مشيراً للمطبوع منها .

فممن ذُكر له تأليف في الاعتقاد في القرون الخمسة الأولى[٧٣] :

١) عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت١٨١هـ).

٢) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (ت١٩٧ هـ). له: كتاب (القدر وما ورد في ذلك من الآثار) .

٣) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصري (ت ١٩٨هـ) .

٤) أبو عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤هـ) . له : كتاب الإيمان. مطبوع .

٥) يحيى بن عبدالله بن بكير الحنظلي (ت ٢٢٦هـ) .

٦) أبو عبدالله نُعيمُ بن حمّاد المروزي (ت ٢٢٨هـ)

---

(٧٣) اقتصرت على القرون الخمسة الأولى لاهتمامها بالاسناد في نقل الأحاديث والآثار ، وهي الأصل للكتب المؤلفة بعد ذلك غالباً.

٧) عبدالله بن محمد بن عبدالله الجُعْفِي شيخُ البخاري (ت ٢٢٩هـ) .له كتاب: (الصفات) و (الرد على الجهمية) .

٨) أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (٢٣٥هـ). له كتاب : (الإيمان) جزء حديثي نشره الألباني رحمه الله سنة ١٣٨٥هـ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ) .

٩) أبو الحسن عبدالعزيز بن يحيى الكناني (ت٢٤٠هـ). له كتاب: (الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن)، نشر عدة مرات .

١٠) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) .له كتاب (أصول السنة)، و (الرد على الزنادقة والجهمية)، (وفضائل الصحابة) مطبوعة . وله كتاب (الإيمان).

١١) محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ) له كتاب: (الإيمان) مطبوع .

١٢) أبو عاصم خُشَيْشِ بن أَصْرَم (٢٥٣هـ). له: (الاستقامة في السنة والرد على أهل الأهواء).

١٣) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ). له: (خلق أفعال العباد والرد على الجهمية أصحاب التعطيل) مطبوع. و(أخبار الصفات).

١٤) إسماعيل بن يحيى المزني تلميذ الشافعي المشهور (ت ٢٦٤هـ).له: كتاب (شرح السنة).

١٥) أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي (. ٢٦٤هـ) .له (الرد على أهل الأهواء) مطبوع .

١٦) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم تلميذ الإمام أحمد (ت ٢٧٣هـ) .له: كتاب (السنة).

١٧) حنبل بن إسحاق بن هلال (ت ٢٧٣هـ) .له: كتاب (السنة).

١٨) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة (٢٧٥هـ) له: كتاب (السنة). و(البعث). و(الرد على أهل القدر) و (فضائل الأنصار) .

١٩) ابن قتيبة الدينوري (٢٧٧هـ). له: كتاب (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) نشر عدة مرات . وكتاب (تأويل مختلف الحديث) نشر عدة مرات ، و(الرد القائل بخلق القرآن) و(فضائل أبي بكر الصديق).

٢٠) أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ). له: (رسالة في الاعتقاد) نشرها أبو عبدالله محمود الحداد.

٢١) حرب بن سعيد الكرماني تلميذ أحمد بن حنبل (. ٢٨٠هـ) .له كتاب (السنة) .

٢٢) عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) .له كتاب (الرد على الجهمية)، وكتاب (الرد على بشرالمريسي) مطبوعان.

قال ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية: (وكتاباه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشدّ الوصية ويعظمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما) [٧٤].

١) أبو إسحق إبراهيم بن إسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ). له: رسالة في أن القرآن غير مخلوق. مطبوعة و (دلائل النبوة) .

٢) محمد بن وضاح القرطبي (٢٨٦هـ). له: كتاب (البدعة والنهي عنها). مطبوع .

٣) أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ). له: (السنة) مطبوع. عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ). له كتاب:

---

[٧٤] اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٣ .

(السنة) نشر عدة مرات أحسنها بتحقيق د/ محمد سعيد القحطاني ، وله كتاب (الرد على الجهمية).

٤) محمد بن نَصْرٍ المروزي (٢٩٤هـ).له: كتاب (السنة) ، وله (تعظيم قدر الصلاة) مطبوعان.

٥) الحكم بن معبد الخزاعي (٢٩٥هـ). له: كتاب (الرد على الجهمية) وكتاب (السنة).

٦) محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن أبي شيبة (٢٩٧هـ). له: كتاب (العرش وما ورد فيه) مطبوع.

١) أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (٣٠١هـ). له: كتاب (دلائل النبوة) ، وكتاب (القدر) ، (صفات المنافق) الثلاثة مطبوعة.

٢) أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) .له : (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) و (مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) مطبوعة ، وهي من ضمن سننه الكبرى المطبوعة .

٣) محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين وإمامهم (٣١٠هـ). له: كتاب (صريح السنة)، و(التبصير في معالم الدين) مطبوعان.

٤) أبو بكر أحمد بن محمد الخلال المتوفى سنة (٣١١هـ) .له: كتاب (السنة) مطبوع في سبعة أجزاء ، وهو كتاب كبير عظيم النفع .

٥) أبو بكر بن خزيمة (ت ٣١١هـ) .له: (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل) مطبوع.

٦) أبو بكر بن أبي داود (٣١٦هـ). له منظومة في العقيدة مطبوعة، وله كتاب (القدر) وكتاب (البعث والنشور) مطبوع.

٧) أبو عبدالله الزبير بن أحمد بن سليمان الزبيري (٣١٧هـ).له: كتاب (وصف الإيمان وحقائقه والإسلام وشرائعه والإحسان ومنازله).

٨) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١هـ) .له: (العقيدة الطحاوية) مطبوع ، وله عدة شروح .

٩) أبو الحسن الأشعري[٧٥] (ت ٣٢٤هـ).له: (مقالاتُ الإسلاميين واختلاف المصلين)، و (الإبانةُ عن أصول الديانة)، و(رسالة إلى أهل الثغر) كلها مطبوعة.

١٠) عبدالرحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ).له: (كتاب الرد على الجهمية)، وكتاب (أصل السنة واعتقاد الدين).

١١) أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي (٣٢٨هـ). له: كتاب (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) مطبوع.

١٢) أبو محمد البربهاري (٣٢٩هـ). له: كتاب (شرح السنة) مطبوع.

١٣) أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال (ت ٣٤٩هـ) . له: كتاب (الرؤية) وكتاب (السنة)، كتاب (العظمة)، كتاب (الآيات وكرامات الأولياء).

١٤) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت٣٦٠هـ). له: كتاب (السنة).

١٥) أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠هـ). له: كتاب (الشريعة) نشر عدة مرات أحسنها بتحقيق د/ عبد الله الدميجي في ست مجلدات وهو كتاب كبير جامع لكثير من قضايا الاعتقاد ، ومن أحسن ما ألف في القرن الرابع . وكتاب (التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة) مطبوع.

١٦) أبو الشيخ محمد بن عبدالله بن جعفر الأصبهاني (٣٦٩هـ).له: كتاب (السنة) ، وكتاب (العظمة) مطبوع في خمس مجلدات .

---

(٧٥) أبو الحسن رحمه الله مر بثلاثة أطوار: الطور الأول كان على الاعتزال، ثم جانبهم وانتهج منهجاً مغايراً، ثم كان آخر أمره على السنة من حيث العموم وفي هذا الطورألف مؤلفات موافقه لاعتقاد أهل السنة وهي المرادة هنا .

١٧) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الشافعي (٣٧١هـ).له كتاب: (عقيدة أئمة الحديث) مطبوع.

١٨) أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي المقرئ (. ٣٧٧هـ).له : (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) مطبوع .

١٩) أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٣٨٥هـ). له: كتاب (شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنة) مطبوع ، وله (فضائل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) مطبوع .

٢٠) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ).له: كتاب (النزول) و(الصفات) و(الرؤية) كلها أجزاء مطبوعة.

٢١) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني إمام المالكية في وقته وعلامة المغرب (ت ٣٨٦هـ).له: (الرسالة) مطبوع ولها عدة شروح ، وله (السنة) و (الرد على القدرية).

٢٢) أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ) .له: كتاب (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) وهو المعروف بـ (الإبانة الكبرى) ، مطبوع في ستة مجلدات ، وهو من أوسع الكتب واجمعها وأغزرها ، و (الشرح والإبانة عن أصول الديانة) وهو المعروف بـ (الإبانة الصغرى) مطبوع في مجلد واحد .

٢٣) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥هـ).له: كتاب(التوحيد) وكتاب (الإيمان)، وكتاب (الرد على الجهمية). وكتاب (الصفات). كلها مطبوعة.

٢٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ).له : كتاب (أصول السنة) مطبوع.

٢٥) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي الشافعي (ت ٤١٨هـ) .له: كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة) طبع في أربع

مجلدات بتحقيق د/ أحمد سعد حمدان ، وهو كتاب عظيم النفع غزير المادة ومن أهم الكتب التي وصلتنا من القرن الخامس ، وله كتاب (كرامات الأولياء) مطبوع في مجلد .

٢٦) أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطَّلَمَنكي الأندلسي (ت ٤٢٩هـ) .له: كتاب (الوصول إلى معرفة الأصول في مسائل العقود في السنة) و (الرسالة المختصرة في مذاهب أهل السنة ، وذكر ما درج عليه الصحابة والتابعون وخيار الأمة) و (الرد على الباطنية) .

٢٧) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ).له : (الإمامة والرد على الرافضة) مطبوع ، و (فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم) مطبوع ، وذكر له أيضا (القدر) و(بيان حديث النزول) و (أحوال الموحدين) و (دلائل النبوة) و (الخصائص في فضائل علي بن أبي طالب) .

٢٨) أبو نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم السِّجْزي الحنفي (ت ٤٤٤هـ).له: كتاب (الإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن) و (الرسالة لأهل زبيد) مطبوعة .

٢٩) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني عالم الأندلس (ت ٤٤٤هـ).له كتاب (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات) مطبوع ، و(السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها) مطبوع.

٣٠) أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني النيسابوري (٤٤٩هـ). له: كتاب (عقيدة السلف أصحاب الحديث) مطبوع وهي رسالة قيمة جامعة.

٣١) الإمام أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) .له: كتاب (الاعتقاد) وكتاب (الأسماء والصفات) وكتاب (شعب الإيمان) وكلها مطبوعة.

٣٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق (ت٤٦٣هـ). له: (جواب عن سؤال أهل دمشق في الصفات) نشر بتحقيق جمال عزون .

٣٣) أبو علي الحسن بن أحمد ابن البناء البغدادي (ت ٤٧١هـ) .له كتاب : (المختار في أصول السنة) مطبوع.

٣٤) أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي (ت ٤٨١هـ).له : (الأربعين في دلائل التوحيد) مطبوع ، و(ذم الكلام) مطبوع في خمس مجلدات .

٣٥) أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني المروزي الشافعي (. ٤٨٩هـ) .له : (الانتصار لأصحاب الحديث) نشر فصولاً منه د/ محمد حسين الجيزاني، وله (منهاج السنة) و (القدر).

هذا وتنقسم هذه المؤلفات إلى أقسام:

فمن حيث الحجم : منها المختصر، ومنها المتوسط، ومنها المطول البسيط[٧٦].

ومن حيث المنهج : منها ما كان على سبيل العرض، عرض عقيدة أهل السنة دون التعرض لشبهات المخالفين والرد عليها. ومنها ما كان على سبيل الرد والنقض لعقائد المخالفين وبيان فسادها. ومن حيث المحتوى : منها ما كان في موضوع واحدٍ ، أو موضوعات معينة[٧٧]. ومنها ما كان شاملاً لأغلب مسائل الاعتقاد.

---

(٧٦) من أكبر هذه المصادر وأوسعها التي وصلتنا: (السنة) للخلال ، (والسنة)لعبدالله بن أحمد، (والسنة) لابن أبي عاصم، وكتابا الدارمي ، والشريعة للآجري ، والإبانة لابن بطة ، و (شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي. وكلها مطبوعة.

(٧٧) أهم المواضيع المطروقة في كتب الاعتقاد يمكن تلخيصها فيما يلي :

١ . تعظيم القرآن والسنة النبوية والذي يتضمن المحافظة عليهما من التحريف وتقديمها على الهوى.

٢ . إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل الواردة في الوحي ونفي النقائص والعيوب، إثبات بلا تمثيل ونفي بلا تعطيل.

٣ . أثبات القدر .　　٤ . إثبات إمامة الخلفاء والرد على المخالفين .

٥ . أثبات حقوق الآل والأصحاب وبيان مكانتهم في الدين .

وقد تقدم في المبحث الخامس أهم أصول الاعتقاد وبيان مخالفة أهل الأهواء فيها .

ومن حيث الإسناد : منها ما كان مسنداً وهو الأغلب . ومنها ما حذفت أسانيده طلباً للاختصار . وقد حرصت على ذكر أسماء المؤلفات وبيان المطبوع منها، وذلك لعدة فوائد منها :

- معرفة عقيدة السلف النقية من مصادرها الأصلية.
- تسهيل الرجوع إليها والإفادة منها لمن أراد ذلك.
- الوقوف على جهد أئمة الحديث في هذا الجانب .
- توثيق الأقوال المنقولة إلى قائليها .

خــــاتمة :

١ . مدى التطابق الكبير بين هذه الكتب مع كثرتها ، واختلاف مؤلفيها زماناً ، ومكاناً ، ونسباً ، ومذهباً ، مما يدل على صحة منهج أهل السنة وسلامته من الاختلاف ، بخلاف أهل البدع الذين لا يثبتون على قولٍ، ولا تستقيم لهم عقيدةٌ، فأنت ترى كثرة الخلاف وتنوعه فيما بينهم، بل فيما بين الطائفة الواحدة بحسب الزمان والمكان، وهذا بسبب عدم تقيّدهم بما كان عليه سلف الأمة واتباعهم للأهواء المتغيرة المتجددة .

٢ . ومما يستفيده الباحثُ . وقد وقف على هذه الكتب المصنفة في العقيدة . التيقنُ من أن كثيراً من شيوخ الإسلام، وأئمة الدين المصلحين المتأخرين كابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن الوزير اليماني، والإمام الصنعاني، ومحمد بن عبدالوهاب، و الشوكاني رحمهم الله جميعاً كلهم متبعون لا مبتدعون، وما دعوا إليه من أصول الدين فليس ذلك من تلقاء أنفسهم أو مذهباً جديداً اخترعوه من قبلهم، بل هم تابعون لخير القرون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم، وبمقارنة كلامهم بكلام السابقين يتضح الأمر.

٣ . أن السلفَ . رحمهم الله . كانوا أعلمَ وأفقهَ وأحكمَ وأنصح للأمة ممن جاء بعدهم؛ فيجب اتباع سبيلهم في الاعتقاد .

٤ . معرفة المراد بـ (السلف) و (أهل السنة والجماعة) فهم : الصحابة ، والتابعون لهم بإحسان ، وأتباع التابعين ، ومن اقتفى أثرهم واهتدى بهديهم ، وفيهم الأئمة المتبوعون : كزيد بن علي ، وأبي حنيفة ، والثوري ، ومالك ، والليث بن سعد ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد .. كل هؤلاء كانوا على عقيدة واحدةٍ ومنهج واحدٍ.

٥ . أن الأئمة المتبوعين من أهل المذاهب المشهورة : الزيدي والحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي هؤلاء كانوا على السنة ومن أئمة السنة، لم يكونوا جهمية معطلة ولا معتزلة ولا أشعرية ولا صوفية ولا غير ذلك من الأهواء ، بينما نجد كثيراً ممن ينسب إليهم من المتأخرين يخالفهم في الاعتقاد وينتحل هذه الأهواء !!!

٦ . لا ينكر أن في كلام بعض أهل السنة وفي مصنفاتهم ما يخالف الصواب . قال شيخ الإسلام: (أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه، وليس هذا واجبًا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله، وقد خفي عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه، ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم) [٧٨]. وهذه الأخطاءُ والزلاتُ قليلة إلى جانب صوابهم ، ويوجدُ أضعاف أضعافها في كلام أهل البدع وكتبهم، ولكن هناك فرق كبيرٌ بين الطائفتين . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ذلك: (وإذا قابلنا بين الطائفتين: أهل (الحديث) وأهل (الكلام)، فالذي يعيب بعضَ أهلِ الحديثِ وأهل الجماعةِ بحشوِ القولِ إنما يعيبهم بقلةِ المعرفةِ، أو بقلةِ الفهمِ .

---

(٧٨) جامع الرسائل (١/٢٦٦).

أما الأول: فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفةٍ، أو موضوعةٍ، أو بآثار لا تصلح للاحتجاج ؛ وأما الثاني: فبأن لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة ،بل قد يقولون القولين المتناقضين ولا يهتدون للخروج من ذلك .

والأمر راجع إلى شيئين : إما زيادة أقوال غير مفيدة يظن أنها مفيدة كالأحاديث الموضوعة. وإما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها، إذ كان إتباع الحديث يحتاج أولاً إلى صحة الحديث، وثانياً إلى فهم معناه كإتباع القرآن. فالخلل يدخل عليهم من ترك إحدى المقدمتين ، ومن عابهم من الناس فإنما يعيبهم بهذا .

ولا ريب أن هذا موجودٌ في بعضهم، يحتجون بأحاديث موضوعةٍ في مسائل الأصول والفروع، وآثار مفتعلة، وحكايات غير صحيحة، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وربما تأولوه على غير تأويله، ووضعوه على غير موضعه. ثم أنهم بهذا المنقول الضعيفِ والمعقولِ السخيفِ قد يُكَفِّرُونَ ويُضَلِّلُونَ وَيُبَدِّعُونَ أقواماً من أعيان الأمة ويجهلونهم، ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأً مغفوراً، وقد يكون منكراً من القولِ وزوراً، وقد يكون من البدعِ والضلالاتِ التي توجبُ غليظَ العقوباتِ، فهذا لا ينكره إلا جاهلٌ أو ظالمٌ، وقد رأيت من هذا عجائبَ[٧٩] . لكن هم بالنسبة إلى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة إلى بقية الملل، ولا ريب أن في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور ما لا يعلمه إلا من أحاط بكل شيء علماً، لكن كلُّ شرٍ يكونُ في بعضِ المسلمينَ فهو في غيرهم أكثرُ، وكل خيرٍ يكون في غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظمُ. وهكذا أهل الحديث بالنسبة إلى غيرهم. وبيان ذلك: أن ما ذكر من فضول الكلام الذي لا يفيد مع اعتقاد أنه طريق إلى التصور والتصديق هو في أهل الكلام والمنطق أضعاف أضعاف أضعاف ما هو في أهل

(٧٩) وقال رحمه الله: (...لا ننكر ما يوجد في بعض أهل السنة والجماعة من جهلٍ وظلمٍ). الصفدية (١٦٣/١)
تأمل ـ رعاك الله ـ في هذا الكلام القيم الذي يدل على إنصافِ هذا الإمامِ وتمامِ نصيحتِهِ وعدم تعصبه، كما يدل على سعة علمه ومعرفته بالفَرْقِ بين الفِرَقِ. فيا ليت المتعصبين ـ من أهل الإسلام ـ يسلكون سبيل الإنصاف ويقتدون بهذا الإمام رحمه الله.

الحديث، فبإزاء احتجاج أولئك بالحديث الضعيف احتجاج هؤلاء بالحدود والأقيسة الكثيرة العقيمة التي لا تفيد معرفةً بل تفيد جهلاً وضلالاً.

وبإزاء تكلم أولئك بأحاديث لا يفهمون معناها تكلف هؤلاء من القول بغير علم ما هو أعظم من ذلك وأكثر، وما أحسن قول الإمام أحمد: (ضعيفُ الحديثِ خيرٌ من رأيِ فلان). ثم لأهل الحديث من المزية أن ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حقٌّ، وقد آمنوا بذلك وأما المتكلمة فيتكلفون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون أنه حق، وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة، بل إما في تأييده، وإما في فرع من الفروع. وأولئك يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقضِ الأصولِ الحقَّةِ الثابتة .

فهرست أهم المراجع

١) اجتماع الجيوش الإسلامية. لابن القيم.

٢) أدب الطلب . محمد بن علي الشوكاني .

٣) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي .

٤) الإيمان بالله ، لمحمد إبراهيم الحمد .

٥) بحوث في تاريخ السنة . د/ أكرم ضياء العمري .

٦) تاريخ تدوين العقيدة السلفية. لعبد السلام بن برجس.

٧) تدوين السنة . د/ محمد مطر الزهراني .

٨) تطهير الاعتقاد. للصنعاني.

٩) توضيح الأفكار . محمد بن إسماعيل الصنعاني .

١٠) جامع الترمذي . محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

١١) الجامع الصحيح . محمد بن إسماعيل البخاري .

١٢) الجامع الصحيح . مسلم بن الحجاج .

١٣) جامع بيان العلم وفضله . لابن عبد البر .

١٤) خصائص أهل السنة. محمد إبراهيم الحمد.

١٥) الخوارج . د/ناصر العقل .

١٦) دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية. د/عبد القادر محمد عطا.

١٧) الرسالة . للإمام محمد بن إدريس الشافعي .

١٨) الروض الباسم . محمد بن إبراهيم الوزير .

١٩) السنة قبل التدوين . د/ محمد عجاج الخطيب .

٢٠) السنن . لأبي داود سليمان بن داود السجستاني .

٢١) السنن . لمحمد بن يزيد بن ماجه .

٢٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ولجماعة. للالكائي.

٢٣) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين.

٢٤) شرف أصحاب الحديث . الخطيب البغدادي .
٢٥) الشريعة. للآجري.
٢٦) عقيدة أهل السنة والجماعة. محمد بن سعيد القحطاني.
٢٧) العقيدة في الله. د/ عمر سليمان الأشقر.
٢٨) الفرق الكلامية د/ ناصر العقل .
٢٩) القدرية والمرجئة . د/ ناصر العقل .
٣٠) القضاء والقدر. د/ عبد الرحمن المحمود .
٣١) كتابة الحديث النبوي بين النهي والإذن . أحمد بن محمد الحميّد .
٣٢) مجموع الفتاوى. لابن تيمية.
٣٣) مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي .
٣٤) مذكرة بعض كتب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد. سليمان بن محمد بن عبد الله.
٣٥) المصادر العلمية في العقيدة السلفية . محمد بن عبد الرحمن المغراوي .
٣٦) المسند . أحمد بن حنبل .
٣٧) معجم مقاييس اللغة. لابن فارس.
٣٨) مقالات الإسلاميين . أبو الحسن الأشعري .
٣٩) مقدمات في الأهواء والفرق. د/ ناصر العقل.
٤٠) مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون .
٤١) الملل والنحل. للشهرستاني.
٤٢) مناقب الشافعي . للبيهقي .
٤٣) الموسوعة الميسرة في الفرق والمذاهب المعاصرة. إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
٤٤) هدي الساري . ابن حجر العسقلاني .
٤٥) الوجيز في عقيدة السلف الصالح . لعبد الله بن عبد الحميد الأثري .